المحاضرة الثامنة

نظرية التعلم بالاستبصار

Learning By Insight

إذا كانت دراسات بافلوف عن التعلم الكلاسيكي قد ظهرت مع بداية هذا القرن،وقد سبقها لسنوات قليلة وتأونت معها دراسات ثور نديك عن التعلم بالمحاولة والخطأ،فأن دراسات التعلم بالاستبصار قد ظهرت مع عشرينات هذا القرن في كتاب كوهلر Walfgans Kohler(١٨٨٧-١٩٦٧)وهو عالم النفس الألماني الذي استقال من جامعة برلين عام ١٩٣٥احتجاجاًعلىالتدخل النازي في الجامعة ،ثم هاجر بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية قبل اندلا ع الحرب العالمية الثانية،وقد كان عنوان هذا الكتاب الشهير هو عقلية القرود Mentality of Apes (١٩٢٥)وفيه يقرر بناء على تجاربه ،أن القرود تفكر ولديها قدرة استدلالية عقلية Reasoning Ability،وأن التعلم عندها يتم بناء على الفهم والاستبصار Insight.

وتعتبر نظرية التعلم بالاستبصار هي الرد العملي والعلمي معاً الذي قامت به المدرسة الجشطالتية في علم النفس ،(حيث يعتبر كوهلر من أقطاب هذه المدرسة ومن أشهر ممثلي تيارها العلمي)على النزعة الآلية الميكانيكية الترابطية التي نادت بها مدرسة بافلوف في التعلم الشرطي،ومدرسة ثور نديك في التعلم بالمحاولة والخطأ،حيث يتجاهلان الفهم والاستبصار في عملية التعلم وينظران إليها على أنها(أي عملية التعلم)عملية ترابط آلي أو تخبط أعمى خال من الفكر والفهم و الوعي والشعور،ناتجة من مجرد تكرار آلي يربط ما بين مثير واستجابة،لا دخل للعقل والتفكير فيه،وهى النظرة التي تبنتها المدرسة السلوكية في علم النفس

ولقد كان من نماذج تجارب كوهلر القرد الذي يحبسه داخل قفص وهو جائع ،ويضع له خارج القفص موزا يراه القرد ويمكنه أن يجذبه ويحصل عليه ليأكله إن هو أستعمل عصا طويلة،ويضع مع القرد بعض العصي بأطوال مختلفة،ويمكن لإحداها أن تدخل في الأخرى بمعالجة بسيطة مكونة عصا طويلة،وكان يراقب حركات الفرد ونشاطه،فكان يجد القرد في بداية التجربة يحاول أن يصل إلى الموز بيده فلا يستطيع،فيذهب إلى العصا يستخدمها واحدة بعد الأخرى ليطال بها الموز فلا يستطيع،ويظل يغير من العصي عله يستطيع أن يصل إلى الموز(محاولة وخطأ)فيفشل،وعندئذ ينتحي القرد مكانا بالقفص وتهدأ حركته بعض الشي،ويبدأ اللعب بالعصي(بعدان يئس من الوصول إلى

الموز)،وفجـــــــأة أثنـــــــاء لعبهـــــــا العشـــــــوائي بالعصـــــــي تـــــــدخل إحدىالعصفىالأخرىمكونةعصاواحدةموصـــولةطويلة،فيقفزالقردإلىالموزويجذبه بهـــا،فينجح في هـــذه المرة،وفى المرات التالية نجد أن القرد يقوم مباشرة بوصل العصا تين ببعضهما ليجذب الموز،فأذ ما انفلتت إحداهما أعاد وصلهما بسرعة،وهكذا نجدان القرد تعلم هنا حل مشكلته.

ويشرح كوهلر تعلم القرد هنا بأنه عندما تكون عناصر الموقف واضحة للكائن الحي فأنه يتعلم حل مشكلته عن طريق إعادة ترتيب عناصر الموقف بما يسمح بإيجاد علاقات جديدة بينها تؤدى إلى الحل الصحيح ،وواضح أن القرد كان في النموذج السابق يعيد ترتيب عناصر الموقف فيصل عصا بالأخرى ليكون منها عصا طويلة تستطيع أن تصل إلى الموز البعيد عنه فيجذبه بها ويظفر بأكله.

وما ينطبق على القرد ينطبق أيضا على الإنسان،فالاستبصار يعنى فهم القرد لموضوع معين أو قضية معينة أو موقف معين،والعلاقات التي تربط بين مختلف عناصره.

ومن هنا فأن كوهلر وزملاءه يرون أن الكائن الحي ينجح في حل مشكلته عندما يستبصر بعناصرها المختلفة ويحسن اكتشاف العلاقات المتبادلة بينها،فيعيد (بناء على ذلك الاستبصار والفهم)ترتيبها بما يكفل له الحل الصحيح.

وتكون قدرة الفرد خاصة أو الكائن الحي عموماً على الاستبصار أعلى كلما كان أكثر ذكاء وأجد فهماً وأعلى يقظة،ويرى الجشطلتيون غالبا وليس كثير أفقط ما يحدث الاستبصار للفرد بشكل مفاجئي أو بعد محاولات فاشلة للحل.

ويمكن أن نجد ثلاث درجات من الاستبصار وهما:..

(أ)استبصار تال على الحل.

وهو الاستبصار الذي يتم بعدان يكون الحل قدتم فعلاً،وأتضح في مجال الإدراك،وهذا النوع من الاستبصار هو سبيل التعلم عند الحيوانات الراقية.

(ب)استبصار مصاحب للحل.

وهو نوع من تكشف الحلول أثناء ممارسة النشاط ذاته،ومثال على ذلك حل المسائل الهندسية الصعبة،ففي هذه المسائل يتكشف حلها أثناء محاولة حلها تدريجيا،ويبرز هذا النوع لدى الإنسان وحده.

(ج)استبصار سابق على الحل **Foresight**.

وهو أرقى أنواع الاستبصار حيث يدرك الشخص حل المشكلة عن طريق معالجتها ذهنياً وقبل محاولة الحل،ومثال ذلك محولات اكتشاف الفضاء،فقبل إرسال رائد للفضاء أستبصر العلماء بالمشاكل التي سيتعرض لها،وقاموا بحلها دون مرورهم بخبرات فضائية فعلية،وهذا النوع من الاستبصار شائع لدى الإنسان الذكي أوفى أنواع النشاط الراقي.

ومن الملاحظ أن مفهوم الاستبصار يستخدم بأكثر من معنى،فهو عند الجشطلتين يشير إلى حالة فرضيةHypothetical ،أفترض توفرها عند الكائن وتؤثر على سلوكه،فيؤدى به إلى حل المشكلة بأسلوب يختلف عن أسلوب الحل عند غياب هذه الحالة،وعند غير الجشطلتين وهو المعنى الثاني فأنه يشير إلى:وصف لبعض أنواع السلوك المشاهد أحياناً في المواقف المعقدة نسبيا من حل المشكلات حيث يمكن الاستدلال على الاستبصار لدى المفحوص عند ظهور الاستجابة الصحيحة فجأة ودون سابق تمهيد وعن طريق مزاولة هذه الاستجابة في يسر وسلاسة بعد اكتشافها،أي بعد ظهور استجابات خاطئة بعد ذلك،نظراً للاحتفاظ بالاستجابة الصحيحة،أي عدم انطفائها